يصدر كل خميس
الرياض
أسبوعي
ملحق العدد ١٧٢٢
الخميس ١٦-١١-١٣٩٠

فهد العرابي الحارثي

ابعاد جديدة في مسؤولية اصحاب المشاريع

ان معظم الناس يتفقون على ان ظهور فئة عصرية من اصحاب الاعمال هي جزء لا يتجزأ من عمليه التحول الاقتصادي الكبرى المعروفة بعملية التصنيع . والسؤال الذي يراد بحثه ذو شقين ١ - ما هي السمات « العصرية » المميزة لاصحاب الاعمال الصناعيين ، وخاصة في المراحل الاولى من عملية التحول ؟ ٢- كيف نمت هذه السمات ؟

وخلال المعالجة لهذين السؤالين بين حصر التفكير تقريبا ، في نطاق التصنيع الاوروبي الذي سيوفر لنا مجالا كافيا للتعميم والمفاضلة معا .

وهناك طرق عديدة لتعريف « صاحب العمل » يختلف حولها العلماء ، الا انه يكفي هنا ان نعرفه بانه ذلك الانسان الذي تقع عليه مسؤولية اتخاذ القرارات الاقتصادية وبالطبع فانه يندر ان يكون هناك اي نشاط اقتصادي لا ينطوي على قرارات . فالرجل الذي يقضي ساعات عمله اليومي في فرز صغار البرتقال عن كباره انما يقوم بعملية مستمرة من اتخاذ القرارات ، ولكن هناك قرارات صغرى وقرارات كبرى والقرارات الكبرى تدور ، مثلا حول ماذا سينتج وكيف سينتج ما هي السلع التي ستباع او تشترى ، ومن اين ، ومتى ، وباي ثمن ، وهل ستظل كمية الانتاج ثابتة ، ام هل تزيد او تنقص ؟ ان جميع مثل هذه القرارات تقع ضمن مسؤولية صاحب العمل .

ولقد شهد التاريخ الاقتصادي خلال جميع مراحله نوعا او اخر من اصحاب الاعمال . فالفلاح البسيط في البلد الزراعية المتخلفة يتخذ قرارات اقتصادية عندما يحدد متى سيبدأ الحرث ، وماذا سيبذر ، ومتى سيحصد . وكذلك كان يفعل تاجر البندقية في القرن السادس عشر عندما كان يختار انواع التوابل التي سيشتريها من الشرق ، ومن سيعبر بها جبال الالب ، وهل سيبيعها في المانيا او في فرنسا ؟ وعلى العموم فان مثل تلك القرارات لا تختلف كثيرا عن ما يفعله كبار موظفي اي مصنع امريكي حديث لانتاج مواد جديدة او لصنع سيارة ذات حجم معين .

وبالرغم من بعض التشابه بين القرارات التي يتخذها اصحاب الاعمال في اوقات مختلفة وبيئات متباينة ، فاننا جميعا نسدرك بالحدس ان الفوارق بين الحالات المشار اليها انفا كبيرة جدا . فنشاط الفلاح او صاحب المهنة او المصنع خلال القرن الخامس عشر يصعب مقارنته بنشاطات العصر الحديث ، اي من القرن الثامن عشر فصاعدا حيث اصبح التقدم الصناعي السريع ، الذي انتشر من بلد لاخر - هو الصفة المميزة للحياة الاقتصادية ، وخاصة في اوروبا وامريكا الشمالية . . وددنا نحاول ان نوضح بعضا من تلك الفوارق

فالصناعة الحديثة تتطلب قدر كبيرا من راس المال الثابت اي انها تسترجب اقامة مبان وتامين الات تستغل للانتاج خلال فترة طويلة . وهذا يعني ان على اصحاب المشاريع الصناعية ان ياخذوا المستقبل في الحسبان بالتاكيد فقد كان هناك قبل عهد الصناعة بعض من التجار الذين كانوا يحملون السفن بالبضائع ويرسلونها في رحلات بحرية طويلة وينتظرون اشهرا ، وربما سنة ، قبل عودة السفن وبيع ماتعود به . ولكن حتى مثل تلك الفترة الطويلة التي ربط التاجر خلالها راسماله في مغامرته الخطرة لا يمكن مقارنتها بمعدل حياة الالات الحديثة ، كما ان مثل تلك الصفقات لم يكن لها ، بالنسبة لحجم السلع والخدمات الاجمالية ، ما للانتاج الصناعي من اهمية بالنسبة للدخل القومي لاي بلد صناعي متقدم

ومع توسع الافق الزمني حدث شيء اخر ، اذ صار العمل الصناعي يتخذ مهنة مدى الحياة ، فالتاجر في العصور التي سبقت عصر النهضة الصناعية كان يميل الى ان يجمع بعض المال ثم يودع مهنة التجارة ويشتري ارضا زراعية ثم يحاول ان يرفع نفسه الى طبقة النبلاء . وصاحب العمل الصناعي الحديث في المانيا او بريطانيا يود عادة ان يتزوج ابناؤه وبناته من طبقة النبلاء ، فهو حابس لهيبته الريف وصفاء العيش فيه الا انه في تقييمه لتلك الاشياء لم يتخل عن كونه شخصا صناعيا حديثا .

وهناك فوارق اخرى ذات صلة بما سبق بحثه او نتيجة له .

فالعلاقة بين التاجر وزبائنه في العصور الوسطى كانت في العادة شيئا زائلا تنتهي بانتهاء الصفقة . ولذلك كان يميل الى خداع المشترى حول كمية ونوعية ما يشتريه ، ولذلك اصبح الغش والخداع في راي الكثيرين ميزة من ميزات تجارة وتجار ذلك العصر .

وبالطبع فاننا لا ندعي بان اصحاب المشاريع الحديثة كانوا دائما مثالا للاستقامة المعصومة عن الخطا ، فهم ما كانوا كذلك ولكن من العدل ان نقول ان استمرار نشاطهم ، وعلاقتهم الوثيقة بزبائنهم نتيجة لتركيب المعدات الصناعية وتامين قطع الغيار ، وكون معظم الانتاج الصناعي يباع لا الى حشد غير منظم من المشترين المجهولين .

ولكن الى اصحاب المشاريع الصناعية الاخرى - كل هذه العوامل جعلت من الضروري خلق نظرة جديدة الى المشترى وعلاوة على ذلك فان الصناعة الحديثة بنيت بصورة عامة على نظام محكم لمنح القروض فنسبة الارباح التي يدفعها اصحاب المشاريع الحديثة مقابل حصولهم على راس المال اللازم تعتبر منخفضة نسبيا والوثائق المقرض بالمفترض لتغيرت هذه النسبة . يكون هناك مشاريع صناعية كان لا بد من وجود مستويات عالية من الامانة التجارية لمثل تلك المشاريع .

واخيرا فان الصناعة الحديثة لا يمكن فصلها عن التقدم التكنولوجي والاداري . فهناك طرق جديدة تظهر باستمرار واصحاب المشاريع الصناعية الحديثة الذين يعتبرون من المبتكرين قليلون جدا .

بل ان معظمهم مقلدون او جزء مما يسميه البروفسور شومبيتر « بالموجه الثانوية »

• كان الغش والخداع ميزة من ميزات التجارة في العصور الوسطى

• توفير اصحاب الاعمال هل هو عملية تاريخية خلدها خلوه من طلبات المشاريع الحديثة؟

• صاحب العمل الصناعي في المانيا وبريطانيا يود ان يتزوج ابناؤه من طبقة النبلاء